العرب
الأربعاء 2021/04/28
السنة 43 العدد 12044

الوطن الجنازة

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

لم يكن غريبا ولا عجيبا أن تحترق مستشفىً في بغداد، ولكن الغريب العجيب هو الكمّ الهائل من دموع التماسيح التي راح يذرفها على شهداء الحريق حكامُ المنطقة الخضراء أصحابُ الأحزاب والميليشيات والصفقات والاختلاسات الذين يعرفون الفاعل ويسكتون عن تسجيل الجريمة ضد مجهول، حتى جعلوا الوطن كلّه جنازة لا يمشي وراء نعشها أكثر من ذوي القتيل ساكتين وخائفين.

غزارة عجيبة غريبة في بيانات التعزية والمواساة التي تسابقوا على نشرها عبر وسائل التواصل والإذاعات والفضائيات، وكأنها الفاجعة الأولى التي تقع في عراقهم الملتحي الصائم المصلي المزكي اللاطم المصمم على أخذ ثارات شهيد قتل قبل ما يقرب من ألف وأربعمئة عام، ثم يتساهل ويتماهل ويتخاذل عن أخذ ثأر العشرات والمئات من الشهداء الذين يتساقطون، كل يوم وكل ساعة، إما غدراً برصاص حيّ، أو حرقا في مستشفىً أو غرقا في عبارة.

ففي وطن تتربع على كراسي القيادة فيه مخلوقات طفيلية متوحشة متخلفة حاقدة تكره حتى أهل طائفتها نفسها، وأتباع دينها نفسه، وأعضاء حزبها نفسه، لا بد أن يُصبح خرابة لا تصلح لسكن الإنسان.

حكاية مستشفى ابن الخطيب التي احترقت وأحرقت ثمانين من نزلائها ورمت العشرات من المرضى وذويهم من شبابيكها لن تكون الأخيرة ففي انتظار العراقيين كوارث قادمة أشد إيلاما وأكثر مضرة

تقول مديرية الدفاع المدني العراقية، إن كانت قد صدقت وكشفت عن كامل الحقيقية وليس عن بعضها، إن العراق "شهد في الفترة الممتدة ما بين عامي 2013 و2017 فقط 272 حادث حريق في المستشفيات والمؤسسات الصحية الأخرى في محافظات العراق باستثناء نينوى، كانت حصة بغداد الرصافة منها 48 حريقا، والكرخ 33، وواسط 35، وبابل 22، وديالى 20، والبصرة وذي قار 17 لكل منهما، والنجف 15، وميسان 14، والأنبار 10، وكربلاء والقادسية 9 لكل منهما، وصلاح الدين والمثنى 8 لكل منهما، وكركوك 7 حرائق".

وزارة داخلية رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، مصطفى الكاظمي المعوقة لم تأت على ذكر المصائب التي وقعت، ثم شكلت لجان التحقيق فيها على الفور، ثم وُضعت ملفّاتُها على الرفوف العالية، وأكبرها:

فاجعة جسر الأئمة 2005، وشهداؤها ألف ومائتا شهيد.

فاجعة الكرادة، وشهداؤها ثلاثُ مئة وأربعة وعشرون.

مجزرة سبايكر، وشهداؤها ألفان.

فاجعة سنجار، وشهداؤها ألفان.

عبارة الموصل، وشهداؤها مئة وعشرون.

فاجعة الانتفاضة التشرينية 2019، وشهداؤها ثمانمئة، وما زالت الكواتم والرصاص الحي والعصيّ والهراوات تضيف إليهم شهداء وشهيدات، ولا تتوقف.

هذا ما عدا الفواجع التي لم تنل نصيبها من بيانات التعزية والمواساة في إعلام الحكومة وأحزابها وميليشياتها، ومنها فاجعة الفلوجة، وفاجعة الحويجة، وفاجعة جامع ساريه، وفاجعة جامع مصعب بن عمير، وفواجع جرف الصخر، وهلمّ جرا.

وبالتدقيق والتمحيص نتوصل إلى معرفة الجاني الحقيقي الوحيد الذي فعل كل هذا بالعراق وبالعراقيين. فإيران التي تحكم العراق، مباشرة أو بالواسطة، تحتاج، لتحيل احتلالها، إلى وكلاء منفذين، شيعة وسنة، عربا وكردا، مسلمين ومسيحيين، وتشترط على المتقدمين المتطوعين لخدمة احتلاله ألا يكون رجل حقيقيا، وطنيا، شجاعا، شهما، ونزيها، بل إن أفضلهم لديها وأقربَهم إلى قلب وليّها الفقيه أكذبُهم وأكثرُهم انتهازية، وأقلُهم ذمة، وأشدُهم ظلما وقسوة.

ومنذ أن وقعت الواقعة وسمح الغزو الأميركي في 2003 بحلول الغزو الإيراني مكانه وبلاوي العراقيين لا تنتهي. فمن زلزلة إلى أخرى أسوأ منها وأكثر إيلاماً ومضرة، ثم تعوّد العراقيون، في أعقاب كل جريمة قتل بالجملة أو بالمفرق، على خروج رئيس الحكومة بتصريح ناري يجزم فيه بأنها ستكون الأخيرة، وبأن الفاعلين فيها لن يُفلتوا من عقابه الشديد، ثم يشكل لجنة تحقيق، ثم يُزور أسرة الضحية ويُهديها شدة دولارات ودمعة عين كاذبة، وتمر الأيام، وتمر الأسابيع، ثم ينسى الحاكم الجريمة، وينسى المحكومون الحكاية، ويفلت الفاعلون.

ولو قمنا بجردة حساب عاجلة لمجمل هذه الفواجع، وأحصينا عدد ما فقَد فيها الشعب العراقي الساكتُ القانتُ المولول من أبنائه وبناته في الانفجارات والاغتيالات والاعتقالات، منذ ثمانية عشر عاما أو يزيد، لكان من النادر القليل أن تجد منزلا عراقيا لم يُقم مأتما، أو لم يُشيع جنازة، أو لم يفتقد أبا أو أخا أو قريبا أو صديقا خرج ولم يعد.

وحكاية مستشفى ابن الخطيب التي احترقت وأحرقت ثمانين من نزلائها، ورمت العشرات من المرضى وذويهم من شبابيكها، لن تكون الأخيرة، ففي انتظار العراقيين كوارث قادمة أشد إيلاما وأكثر مضرة مادام هذا الحمام هو الحمام، ومادام هذا الطاس هو الطاس.

ترى لو حدث حريق كحريق مستشفى ابن الخطيب في دولة أخرى ذات سيادة، ولها كرامة، ويحكمها أبناؤها النجباء وليس الوكلاء، وتُسيِّرها القوانين والمؤسسات، أما كان يُلقى بوزير الصحة الصدري ومدير المستشفى في صناديق القمامة؟ وأما كان القضاءُ المستقل العادل النزيه الشجاع، وعلى الفور، جرجر رئيس الحكومة، قبل غيره، إلى ساحة القصاص؟ وأما كانت قد تفجرت مواكب الغاضبين وامتلأت شوارع الوطن وساحاته بالمنادين بالقصاص؟

فنكبةٌ من هذا النوع، وبهذا الحجم لا تحدث إلا في بلاد القبائل البدائية التي تعيش "في حظيرة الأغنام، وتُعلف كالأغنام، وتنام كالأغنام، وتتبول كالأغنام، وتدور كالحبّة في مسبحة الإمام".

وهذه ليست تهمة، ولا شتيمة، بل هي صورة واقعية رسمتها أكداس الوثائق والملفات التي أكلتها الأتربة في مكتب رئيس الوزراء وهيئة النزاهة والبرلمان وساحة القضاء، مع المئات من حكايا الفساد والاختلاسات والعمولات التي اعترفت بها شخصياتٌ سياسية من داخل نظام المحاصصة البغيض، ولا حساب ولا عقاب.

ألم تسمعوا النائبة الصدرية، ماجدة التميمي، وهي ترد على من يلوم وزير الصحة المنتمي لتيار سيدها مقتدى فتقول إن "حرائق المستشفيات تحدث في كل دول العالم، ويجب ألا نُضخم الموضوع"؟

جامعة الشهداء.. انقضاء عهد التعليم في العراق

د. باهرة الشيخلي
كاتبة عراقية

إذا كان صحيحاً القول، قبل سنوات، إن قطاع التعليم في العراق في طريقه إلى الانهيار، فإنه، الآن، ترك الانهيار وراء ظهره وتجاوزه ليمضي في طريق العدم لعوامل عديدة، في مقدمتها تطويقه بالتعليم الأهلي الذي أصبح وجهاً من وجوه التجارة المربحة يمنح الشهادات جزافاً، واختراقه من الحشد الشعبي وميليشياته عن طريق افتتاح "جامعة الحشد الشعبي" تحت اسم "جامعة الشهداء" التي خطط لها أن تضم كليات عسكرية وحربية وثقافية وعلمية خاصة بمنتسبي الحشد الشعبي التي تقبل الطلبة من خريجي السادس الإعدادي أيضاً.

الحشد نسخة أخرى من الحرس الثوري الإيراني من حيث التشكيل والمهمات، الفصل والتمييز بينهما يكمن في أن الحرس الإيراني يدافع عن مصالح بلاده، بصرف النظر عن طبيعة مهماته. أما النسخة العراقية فمهمتها تنحصر في الولاء لجمهورية ولاية الفقيه وتصفية أعدائها واجتثاث معارضيها.. هذا هو الفارق الأساس بين التجربتين.

يخطئ من يظن أن سبب تشكيل الحشد الشعبي هو رد فعل لمواجهة تنظيم داعش الإرهابي، فالحشد فكرة تبدّت مقدماتها البنيوية الأولى منذ قيام المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وكان جناحه العسكري "فيلق بدر" البذرة الأولى التي اختبرتها طهران ميدانياً في حرب الثماني سنوات التي فرضتها إيران على العراق، وتأكدت من ولائه في قضيتين مهمتين: الأولى كانت تعذيبه الأسرى العراقيين وارتكاب جرائم حرب بتصفية مئات الأسرى، أما القضية الثانية فكانت العمليات التخريبية داخل العراق منذ الثمانينات حتى غداة احتلال بغداد.

أما المهمة الكبرى والمستمرة فهي العمل على ترسيخ لاهوت الثورة الإيرانية وتحقيق استراتيجية تصدير الثورة لإقامة ولاية الفقيه الأممية من طهران إلى المغرب ومن أقاصي أفريقيا إلى جاكرتا، وهي المهمة التي يعمل عليها الحشد ويتباهى الميليشياوي "أبوعزرائيل" بأدائها.

الدور الذي يؤديه الحشد، منذ تأسيسه، طبقاً لرأي أستاذ الفلسفة وتاريخها الدكتور عبدالستار الراوي جعل الدولة العراقية كلها في جيبه الصغير، ويمكن العودة إلى قانون معادلة الشهادات الذي أقره البرلمان ليبدو واضحاً أن لعبة الغطاء الأكاديمي جاءت عبر قناة ما يسمى "الدراسات الحوزوية والجامعية"، وقد بدأ الحشد مقدماتها عندما ابتدع جناحاً لنشر التشيع (نسخة إيران) تحت اسم "الحشد التربوي" في المدارس العراقية.

يصف أستاذ جامعي متقاعد ومدير عام سابق في التعليم العالي تأسيس جامعة الحشد الشعبي بأنه دكان لبيع الشهادات تحت أسنة الحراب وأن هذه الجامعة ستكون مكاناً لقبول الفاشلين ومنح الشهادات من دون رقيب، وحسب رأيه، فليس ثمة مسوّغاً علمياً لهذا الاستحداث، والتفسير الوحيد لهذا التأسيس هو أن تكون الجامعة الحشدية مكاناً خطيراً لتعليم الطائفية وإعداد قيادات ميليشياوية يغرق البلد بالتبعية للولي الفقيه، مما يعني أن قطاع التعليم انهدم إلى درجة لا يمكن وصفها لأن أيّ تدريسي لا يستطيع أن يكون نزيهاً في أداء مهمته تحت تهديد السلاح.

والواقع، ليس ثمة مسوغ قانوني لجهة عسكرية بالانضواء تحت جناح التعليم العالي، فالمعاهد والكليات العسكرية منضوية تحت جناح وزارة الدفاع، وإذا كان الغرض هو تكريم منتسبي الحشد فالكليات الأهلية في العراق أصبحت لا تعدّ ولا تحصى، لذلك لا ينصرف الذهن إلا إلى أن استحداث مثل هذه الجامعة ليس سوى تنفيذ لأجندة خارجية لتعليم طائفي وبمناهج غريبة على الإرث الأكاديمي العراقي، وأنه سيسهم بمزيد من التدهور في سمعة الشهادة العراقية على المستويين العربي والدولي، مما يتطلب وقفة جادة من الأكاديميين ورؤساء الجامعات كافة ضد هذا المشروع التخريبي.

إن الفتوى بجهاد كفائي وتأسيس الحشد كان التكليف بقتال داعش، وينتهي دوره حين تستعيد الأجهزة الأمنية والجيش والشرطة تشكيلاتها وتنتهي مهمات الحشد بالقضاء على داعش، لكن ما جرى كان خلاف ذلك تماماً، إذ توسّع الحشد وأصبح منافساً للأجهزة الأمنية وكيان الدولة واشتملت هياكله على مؤسسات تخصصية لتصبح هناك مؤسسة داخل الحشد للتعليم العالي تفتح كليات وجامعات ومدارس.. إنها الدولة العميقة التي تكلف الدولة المليارات ويتقاطع عملها مع الوزارات المختصة، وقد رأى العراقيون كيف جامل أصحاب المناصب من الوزراء الوقفيّ السني والشيعي ووافقوا على فتح مدارس وجامعات والآن تفتح المئات من الكليات الأهلية لمصلحة الأحزاب والزعامات، وهي استثمارات تدر المليارات على المتنفذين، والنتيجة تخريب شامل للتربية والتعليم، خصوصاً، ونحن في زمن جائحة كوفيد – 19 والتعليم الإلكتروني وسيلة مبتكرة للغش ومنح درجات من دون جهد أو اجتهاد بما في ذلك اختصاصات علمية خطيرة، بخاصة بعد قانون معادلة الشهادات الذي شرّع للتزوير، حسب رأي أحد عمداء الكليات السابقين.

هذه الكارثة وإن كانت إيران تصنعها في العراق لكنها جزء من مشروع توسع ولاية الفقيه على حساب الدول العربية الذي يقوم على تدمير بناها ومؤسساتها وإحلال تشكيلات بديلة لها

من ضمن ما خططت له سلطة الملالي في طهران إطباقها على مفاصل الحياة كلها في العراق، وهي الآن توجه ذيولها للتوغل في إعادة مأسسة التربية والتعليم في العراق العربي وتغيير هويته الوطنية وتغييبها عبر تغيير جوهر المناهج إلى إنشاء عدد كبير من المراكز البحثية التي لا علاقة لها بما أُسّس من أجله الحشد الشعبي، وتعدّ الخطوات التي ينفذها الحشد الشعبي، كما يرى عميد كلية الإعلام في جامعة بغداد سابقاً الدكتور عبدالرزاق الدليمي تغلغلاً مدروساً وسافراً في صلب حياة النظام، والأهم من ذلك في حياة العراقيين ناهيك عن التدخل في مفاصل مؤسسات المجتمع المدني كلها والحياة العامة للشعب، في محاولات للحفاظ على تماسك القوى التي ربطت نفسها كذيول للنظام الإيراني، لاسيما بعد إعلانها انتهاء المسرحية المفبركة عن خطر الإرهاب الذي كان مسوّغاً لوجود هذه الظاهرة غير السليمة والدخيلة على مجتمعنا.

هذه الكارثة، وإن كانت إيران تصنعها في العراق، لكنها جزء من مشروع توسّع ولاية الفقيه على حساب الدول العربية الذي يقوم على تدمير بناها ومؤسساتها وإحلال تشكيلات بديلة لها يديرها أتباع إيران وترتبط بأجهزة إيران الاستخبارية والسياسية بما يسهل هيمنة طهران وتوسعها، كما يحذّر وزير خارجية عراقي سابق. وبهذا يمكن تفسير تفنّن أتباع إيران الحاكمين في العراق باستحداث البدع التي تضعف الدولة وتحل محلها تشكيلات حزبية ودينية وعسكرية مرتبطة بإيران، وهو ما هيأ لجعل تشكيلات أتباع إيران العسكرية أقوى من أجهزة الدولة العسكرية وما جعلها تستحوذ على الحصة الأكبر من موارد العراق فتأخذ منها قسطاً لتلبية نهمها وطمعها الشخصيين وتوجه الباقي إلى خدمة الاقتصاد الإيراني المنهار.

يلاحظ الكاتب والشاعر العراقي طارق حربي وهو معارض لنظام صدام حسين في كتابه "الطريق إلى الناصرية" أن العراق الذي كان قبلة القاصدين للتزوّد بالعلم والمعرفة تراجع فيه التعليم كثيراً، بعد انهيار الدولة في سنة 2003 وضعف حكومات المحاصصة الطائفية والقومية، حيث أصبحت المدرسة المعتبرة في حضارات العراق مستباحة من بعض العشائر والأفراد، لأن هذا المعلم أو تلك المعلمة لم يُنجحا تلميذاً أو طالباً، فيُكتب على سياج المدرسة العبارة المشؤومة "مطلوب عشائرياً!" مثلما يكتب على صالونات الحلاقة ومحال تسجيل الأغاني والموسيقى ليتم الهجوم عليها لاحقاً، وقد يهان المدير في باحة المدرسة ويضرب المعلم أمام زملائه! راوياً أنه وقعت إحدى أقسى الحالات في محافظة الأنبار، حيث جلد أبٌ لأحد الطلاب، وهو عسكري برتبة ملازم أول، معلم اللغة الإنجليزية في المدرسة لأنه لم يساعد ابنه في الامتحانات!

ختاماً، إن تشكيل "جامعة الشهداء" يهدف إلى منح عناصر الحشد وذويهم فرصة إكمال دراستهم وتأهيلهم، بصفة مناسبة، وإعداد قادة منهم، ولم تقتصر انتقالة "الحشد" إلى المجتمع المدني والمؤسسات على هذه الجامعة فقط، بل برزت، مؤخراً، مراكز بحثية عدّة مرتبطة بالفصائل المسلحة تركز غالبية أفكار ندواتها وعناوينها البحثية على المسألة العقائدية الطائفية لأفكار الحشد، ومحاربة أصحاب الآراء الأخرى، عبر إنجاز الكتب والبحوث، والتركيز على إعداد جيل طائفي من الباحثين والمحللين والسياسيين من عناصر الحشد وذويهم.

والسلام على شهداء العراق.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk